مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 09 ،العدد 02 ،جوان ،2024 ص - ص:56.-92

مواقف السياسة الخارجية للدولة الخوارزمية وأثرها في توجيه الأحداث السياسية قبيل الغزو المغولي (490 هـ – 615 هـ/1096م– 1218م)

The positions of the foreign policy of the Al-Khwarizmi State and its impact on directing political events Before the Mongol invasion (490 AH - 615 AH / 1097 AD - 1218 AD)

د حمزة قادري (*)
جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري، (الجزائر)،
hamza.kadri@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 23 /2024/02 تاريخ القبول: 07 /2024/04 تاريخ النشر: 27 /2024/06

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى البحث في مواقف السياسة الخارجية للدولة الخوارزمية مع القوى السياسية الحاكمة في شرق العالم الإسلامي (السلاجقة والعباسيين والغوريين ودولة الخطا) منذ تولي قطب الدين مُحَمَّد بن أنوشتكين سنة 490هـ/ 1096م حكم ولاية خوارزم عن السلاجقة أصحاب السلطة على تلك الأقاليم وقتذاك؛ وإلى استقلالهم بحكمها على عهد أتسز بن قطب الدين ودخولهم في خط سياسي مستقل يهدف إلى بناء إمبراطورية ممتدة الأرجاء على حساب محيطهم؛ فكان عليهم بغية تحقيق أهدافهم السياسية اتخاذ جملة من المواقف على مستوى السياسة الخارجية تراوحت بين السلمية والصداقة أحيانًا وبين العنف والدخول في حروب عسكرية أحيانًا أخرى، وهذا طيلة سنوات القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، لترتسم انطلاقا من تلك المواقف – بحكم حجم نفوذ دولة الخوارزميين– صورة الواقع السياسي للعالم الإسلامي بأحداثه الأليمة خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بغزو المغول لديار الإسلام.

الكلمات الدالة: الخوارزميون؛ السلاجقة؛ السياسة الخارجية؛ المغول؛ علاء الدين خوارزمشاه.

Abstrac: This study aims to investigate the foreign policy positions of the Khwarezm state with the ruling political forces in the eastern Islamic world (the Seljuks, the Abbasids, the Ghurids, and the

*المؤلف المرسل.

Khitta state) since Qutb al-Din Muhammad ibn Anushtakin assumed the rule of the Khwarezm state in the year 490 AH/1096 AD from the Seljuks who had authority over those regions at that time. And to their independence under its rule during the reign of Atsiz bin Qutb al-Din and their entry into an independent political line aimed at building a far-reaching empire at the expense of their surroundings; In order to achieve their political goals, they had to take a number of positions at the level of foreign policy, ranging from peace and friendship at times to violence and entering into military wars at other times. This occurred throughout the years of the sixth century AH/twelfth century AD. Based on these positions - due to the extent of the influence of the Khwarezmian state - a picture of the political reality of the Islamic world with its painful events during the first half of the seventh century AH / thirteenth century AD with the Mongols' invasion of the lands of Islam emerges.

:Keywords Al-Khwarizmians; Seljuks; Foreign Policy; Mongols; Aladdin Khwarezmshah.

1.مقدمة:

لقد ساهم الواقع السياسي بشرق العالم الإسلامي (شرق العراق إلى بلاد ما وراء النهر) خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي على رسم مواقف السياسة الخارجية للدولة الخوارزمية مع القوى الحاكمة والمؤثرة في المنطقة، وهي المواقف التي أثرت بعد ذلك على الأمن الداخلي للدولة في العقود التالية، أي في مستهل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فالناظر إلى الخريطة السياسية بشرق العالم الإسلامي وقتذاك (القرن 6هـ/11م) يجد أنَّ ظهور الدولة الخوارزمية كان في محيط مضطرب تسوده الصراعات ومساعي التمكُّن والرغبة في التوسع والسيطرة بين مختلف الدويلات الحاكمة كالسلاجقة والخطا والغوريين والخلافة العباسية.

فالخوارزميون كقوة ناشئة على طورها الأول من التأسيس سعوا لإبراز شخصيتهم واستغلال تلك الأوضاع لمد رقعة نفوذهم على أقصى ما يمكن من الأقاليم، وجعل ذلك من أبرز أهداف وجودهم، فخطُّوا في سبيل تحقيق هذه الأهداف معالم سياساتهم الخارجية مع مختلف القوى السياسية المحيطة بهم، ثمَّ سارت تلك المواقف منذ عهد مؤسس الدولة أتسز بن قطب الدين

مُحَمَّد (521هـ- 551هـ/ 1127م- 1156م) وفق منطق المصلحة السياسية لا غير، وهو ما جعل الغالب على علاقات الخوارزميين مع جيرانهم وحتَّى مع الخلافة العباسية يطبعها الصراع العسكري.

غير أنَّ الأهم في دراسة مواقف السياسة الخارجية لدولة الخوارزميين -التي صارت القوة الأبرز في الأقاليم الشرقية للعالم الإسلامي في أواخر القرن 6هـ/12م ومستهل القرن 7هـ/13- هو ارتدادات تلك المواقف على الأوضاع الداخلية للخوارزميين أولاً ثُمَّ مدى تأثيرها على واقع العلاقات السياسية مع القوى المجاورة (الخطا والغوريين والعباسيين)، لمحاولة فهم واستيعاب ردود فعل الدولة الخوارزمية من أحداث الغزو المغولي للعالم الإسلامي الذي ابتدأ سنة 615هـ/1218م وعرف خلاله المسلمون شتى أنواع القسوة والعنف والدمار.

2.ظهور الخوارزميين وقيام دولتهم:

تنتسب الدولة الخوارزمية إلى شخصية تركية تدعى "نوشتكين"، حيث كان أوَّل أمره عبدًا مملوكًا للأمير السلجوقي بلاتاجين Billa- Tagin من بلاد غرجستان (بلاد الغور)،[1] فحمله إلى بلاط السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (465هـ-485هـ/1072م-1092م) أين اشتغل وظيفة الساقي أو " الطشت دار"[2]، وهي إحدى الوظائف المعروفة في البلاط الإسلامي خلال تلك الفترة، ليتدرَّج في سلك الوظائف بعد ذلك لدى السلاطين السلاجقة بفضل خدماته المقدَّمة لهم، ليكافئ سنة 470هـ/1077م بتعيينه واليًا على إقليم خوارزم الذي ظلَّ يشغلهُ طيلة عشرين سنة، أي إلى غاية وفاته سنة 490هـ/1097م[3].

دخل هذا الإقليم بعد وفاة نوشتكين بسلسلة من الاضطرابات نتيجة عدم مقدرة الحاكم الجديد وهو أمير من أمراء السلطان بركياروق بن ملكشاه (487هـ-498هـ/1094م-1104م) ويدعى "أكنجي" على ضبط الأمور في الإقليم، فوثب عليه اثنان من أمراء بركياروق وقتلوه، غير أنَّ السلطان استاء من فعلتهما وأرسل إليهما جيشًا بقيادة أحد قواده وهو الأمير "داذ حبشي بن التونتاق" استطاع أن يقضي عليهما ويعيد الأمور إلى نصابها، وقبل مغادرة هذا الأمير لخوارزم رأى أنَّهُ من الأصلح وضع شخصية قوية قادرة على

إدارة شؤون هذه الولاية فوقع اختياره على قطب الدين مُحَمَّد بن نوشتكين (490هـ- 521هـ/ 1097م- 1127م) وعيَّنهُ حاكمًا على ولاية إقليم خوارزم ولقّبهُ "خوارزم شاه"، وقد وافق السلطان بركياروق على هذا التعيين[4].

ابتدأ بروز نجم الدولة الخوارزمية كقوة سياسية في أواسط آسيا (خراسان وبلاد ما وراء النهر) بسبب ما آل إليه حكم السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (485هـ/1092م) من فوضى واضطراب وصراعات حول السلطة بين أبناء البيت السلجوقي، فانقسمت الدولة على إثرها إلى عدَّة دويلات مستقلَّة يحكم كل منها شخصية من أفراد البيت أو يُكلَّف أحد الأمراء المقرَّبين بالإشراف على تسيير إقليم من أقاليم الدولة تحت تسمية "أتابك"[5]، فقامت سلطنة سلجوقية في خراسان وأخرى في العراق وثالثة ببلاد الشام ورابعة بآسيا الصغرى، وقد كان التنازع والصدام سمة العلاقات بين هذه الأتابكيات[6].

وافق إذًا على هذا النحو تولي قطب الدين مُحَمَّد بن نوشتكين حكم ولاية خوارزم مع ما أصاب دولة السلاجقة من تصدع وانقسام بعد وفاة السلطان ملكشاه، فكان من الطبيعي أن يفكِّر قطب الدين بغية الحفاظ على ملكه في ظل ذلك الاضطراب على تقوية نفوذه وتثبيت دعائم حكمه، فأخذ يبذل جهودًا مضنية ومتواصلة طيلة ثلاث عقود من حكمه في إدارة شؤون الإقليم، فيقول عن ذلك ابن الأثير:" فقصر أوقاته على معدلةٍ ينشرها ومكرمةٍ يفعلها"، كما واهتم قطب الدين لضمان الاستقرار في ولايته على تقديم فروض الطاعة والولاء للسلاطين السلاجقة وخاصةً سنجر بن ملكشاه (513هـ- 552هـ/1119م- 1157م)[7]، الذي صار صاحب السلطة على أقاليم الشرق وما يلي العراق (خراسان وبلاد ماوراء النهر)، بعد صراعه مع ابن أخيه السلطان محمود بن مُحَمَّد بن ملكشاه الذي ظل مسيطرًا على العراق[8].

ظلت العلاقة بين قطب الدين مُحَمَّد خوارزمشاه والسطان سنجر ودية طيلة سنوات حكمه؛ بل أنَّ قطب الدين ظلَّ يعتبر نفسه تابعًا للسلاجقة ويعتبرهم أصحاب الفضل في تعيينه على حكم ولاية خوارزم، وقد تعززت تلك العلاقة في عديد المواقف بين الطرفين أبرزها مشاركة مُحَمَّد بن نوشتكين لسنجر في حروبه ضد السلطان محمود بن مُحَمَّد بن ملكشاه[9]، كما

يروى في هذا الصدد أنَّ بعض ملوك الأتراك جمعوا على قصد خوارزم في غياب قطب الدين مُحَمَّد؛ فلمَّا سمع هذا الأخير سارع للعودة دفاعًا عن ملكه وأرسل في الوقت ذاته للسلطان سنجر يستنجد به على أعدائه، فسار عسكر السلاجقة من نيسابور لردِّ ذلك العدوان الذي انتهى بمجرد وصول قطب الدين مُحَمَّد إلى حدود إقليم خوارزم[10].

ولعلَّ أبرز ما يمكن التأكيد به على مستوى العلاقات الطيبة بين حكام خوارزم من أسرة نوشتكين والسلاجقة خلال هذه الفترة ما قام به سنجر بعد وفاة قطب الدين مُحَمَّد من تعيين ابنه علاء الدين أتسز بن مُحَمَّد على حكم الإقليم (521هـ- 551هـ/ 1127م-1156م)، هذا الأخير الذي حافظ خلال العقد الأول تقريبًا من حكمه على مستوى العلاقات الودية مع السلاجقة، فقرَّبهُ السلطان سنجر واعتضدَّ به واستصحبهُ في أسفاره وحروبه وزادت مكانته عنده.

غير أنَّ طموحات أتسز بن مُحَمَّد لم تكن لتتوقف عند حدود النيابة في حكم خوارزم، فنجده بعد أنَّ ثبَّت أركان حكمه واطمأن إلى قوته قد شرع في رسم خط سياسي جديد لإقليم خوارزم يخرجه من عباءة الحكم السلجوقي إلى الاستقلال التام؛ بل وسعى للتمدد على أكبر رقعة ممكنة لزيادة النفوذ والقوة في تلك المنطقة، فحدث أن أبدى تمرُّدَهُ على حكم سنجر سنة 530هـ/1135م وهاجم عدَّة مناطق تابعة للسلاجقة في أسفل نهر جيحون[11]، وانتزعها منهم[12]، لتكون بذلك أولى خطوات الصراع بين السلاجقة والخوارزميين.

استمر أتسز في الدفاع عن هدفه بالاستقلال بحكم خوارزم فدخل في عدَّة معارك مع سنجر، غير أنّهُ فشل في تحقيق أي تقدُّم بسبب تباين ميزان القوة بين الطرفين خلال تلك الفترة، فانتهج أسلوب المهادنة والموادعة والإذعان بالطاعة والخدمة حتَّى يحافظ على ما تحت يديه من ممتلكات، ويعود بعد تهيئ الظروف لحرب السلاجقة، كما ودفعه طموحه السياسي إلى اتخاذ قرار محالفة دولة الخطا الوثنية[13]، المجاورة لحكم السلاجقة في بلاد ماوراء النهر فحثَّها على مهاجمة ممتلكاتهم، ممَّا أضعف من قوة السلاجقة لصالح الخوارزميين والخطا على السواء[14]

– وسنأتي على ذكر هذه الأحداث في صفحات لاحقة من هذا البحث–، ليتحقق في حدود سنة 538هـ/1143م هدف الاستقلال النهائي للخوارزميين عن حكم السلاجقة[15].

بقي لأتسز من أجل ترسيم هذه الخطوة لصالح الدولة الخوارزمية؛ تقديم طلب الاعتراف من الخليفة العباسي في بغداد لتزكيته كحاكم شرعي على الأقاليم التي تحت سيطرته وما تتوسع عليه دولته في المستقبل، فراسل لأجل ذلك الخليفة المقتفي لأمر الله (532هـ- 555هـ/ 1137م- 1160م) في رسالة مطولة أبان له فيها على موالاته وخضوعه لسلطانه الروحي كخليفة للمسلمين كافة، وتذكيره بخدمات والده مُحَمَّد بن أنوشتكين وجهاده لصالح السلاجقة، كما وضمَّن تلك الرسالة طلبه في أن يصدر الخليفة منشورًا بتعيينه على حكم ولاية خوارزم شرقيها وغربيها، "وما ينضاف إليها وينعطف عليها من بلادها وديارها ..."[16]، فكان له ما أراد، حيث أرسل إليه الخليفة الخلع والتشريفات ممَّا يدلُّ على اكتساب الدولة الخوارزمية صفة الشرعية[17].

3. التوسع على حساب الدولة الأم:

أشرنا فيما مضى بأنَّ أتسز بن مُحَمَّد بن أنوشتكين سعى في سبيل الاستقلال بحكم إقليم خوارزم إلى إنهاء تبعيته لحكم السلاجقة؛ فدخل في عدَّة حروب مع السلطان سنجر واستعان بقوى مجاورة (الخطا) ليحقق من خلالها ذلك الهدف، كما وأنَّ مساعي الخوارزميين في تأسيس كيان سياسي مستقل له نفوذه في المنطقة دفعهم للتوسع على ممتلكات دولة السلاجقة نفسها، فحدث أن استغلَّ أتسز هزيمة السلاجقة أمام الخطا في معركة قطوان سنة 536هـ/1141م ووجود سنجر في بلاد ما وراء النهر فهاجمَ مدينة سرخس بإقليم خراسان وأوقع الرعب في أهلها.

تقدَّم بعدها إلى مرو عاصمة الإقليم ومركز حكم السلطان سنجر فدخلها عنوة وجلس على عرشه واستولى على كثير من خزائنه، وعاث في أهلها من الأعيان والعلماء القتل الكثير، كما ونهبت على إثر هذه الغارة الكثير من الكنوز المعرفية كمكتبة "حكيم حسن قطان"[18]، الذي اتهم رشيد الدين الوطواط الكاتب الخاص لأتسز بنهبها[19]، كما واستولى في السنة ذاتها

على نيسابور ولكنَّهُ لم يتعرض لأهلها بسوء بعد مناجاة جماعة من علمائها وفقهائها بأن لا يفعل بأهل نيسابور مثلما فعله بأهالي بمرو، ومع ذلك فقد جدَّ في البحث عن أملاك السلطان سنجر وأصحابه في المدينة لاغتصابها لنفسه[20].

عمل أتسز في ذي القعدة من سنة 536هـ/ 1141م وبعد استيلائه على عديد المدن في إقليم خراسان على قطع الخطبة للسلطان سنجر فيها، فلم يجد من يردَّهُ عن ذلك، وقد دلَّ هذا الأمر – بقطع الخطبة- لدى الخوارزميين على طموحهم السياسي الكبير في وراثة حكم السلاجقة على الأقاليم الممتدة من بلاد ما وراء النهر إلى خراسان وفارس والعراق، ثمَّ استمرت أعمال الخوارزميين التخريبية في خراسان من نهب وسلب لإخضاع النَّاس وإجبارهم على الطاعة طيلة فترة غياب السلطان سنجر في حرب الخطا، ومع عودة هذا الأخير منهزمًا في حربه في أوائل سنة 537هـ/1142م اضطر أتسز للمغادرة صوب خوارزم وأرسل يطلب الصفح ويتعهَّدُ بالتنازل عن كل ما ملكه من البلاد الخراسانيةّ؛ وما استولى عليه من أموال وكنوز السلطان في مدينة مرو، والعودة إلى بيت الطاعة السلجوقية كسابق العهد، وهو الطلب الذي قابلهُ سنجر بإيجاب بعد ما رأى من الضرورة عدم ترك الخوارزميين يرتمون في أحضان الخطا من جديد[21].

لم تدم فترة الوفاق بين أتسز وسنجر طويلاً، حيث تجدَّد الصراع بينهما في أكثر من مناسبة بسبب عدم وجود توافق سياسي يحافظ على علاقات الود بين الطرفين؛ بل أنَّ المشروع السياسي لكل زعيمٍ منهما قد وُضع على حساب إضعاف الطرف الآخر وخاصةً لدى الزعيم الخوارزمي، وهو ما خلق جوًّا مشحونًا استمر طيلة حياة الزعيمين الإسلاميين، وليس هذا فحسب فقد تجاوز ذلك الصراع حدود ساحات المعارك وقنوات السياسة ليتجلَّى في ميدان الأدب والشعر، حيث تبادل كل من رشيد الدين الوطواط عن الجانب الخوارزمي و"الأنوري" شاعر السلطان سنجر قصائد مدح لسيديهما وأخرى يهجون فيها عدوهما كأحد تمظهرات الصراع[22].

ومما يسترعي النظر إليه خلال تلك المرحلة من الصراع هو ميول السلطان السلجوقي إلى المسالمة والمسامحة وتجنب الاقتتال مع الخوارزميين؛ في حين أنَّ أتسز كان يهتبل أي فرصة تتاح له للانقضاض على ملك السلاجقة؛ وذلك بالمسارعة إلى نقض العهود المبرمة تارةً وبالتحرش العسكري متى رأى من نفسه القوة ومن خصمه الضعف تارةً أخرى[23]، لتستمر العلاقة بينهما على هذا الحال إلى غاية وفاتهما سنة 551هـ/1156م بالنسبة لأتسز وفي السنة الموالية أي 552هـ/1157م بالنسبة للسلطان سنجر[24].

ورث أيل أرسلان بن أتسز (551هـ- 568هـ/1156م- 1172م) عرش السلطة الخوارزمية بعد أبيه ومعها أيضًا ورث سياسة العداء اتجاه السلاجقة، فعمل على استغلال ضعف الحكم السلجوقي بعد وفاة سنجر لتحقيق مكاسب جديدة لدولته فاستطاع أن يبسط سلطانه على غربي خراسان وعديد المدن في إقليم فارس، بل وطمع في ممتلكات السلاجقة بالعراق كذلك، فبلغت في عهده الحدود السياسية للدولة الخوارزمية مجالاً واسعًا حتَّى عدَّهُ المؤرخون أول الحكام الخوارزميين المستقلين[25].

وعلى نفس النهج سار خلفه علاء الدين تكش (568هـ- 596هـ/ 1173م- 1199م) في سياسة التوسع على حساب القوى المجاورة وخاصةً قوة السلاجقة، فعلى الرغم من الصراع الذي شبَّ داخل البيت الخوارزمي بين ابني أيل أرسلان؛ علاء الدين تكش وسلطانشاه حول الحكم[26]، إلاَّ أنَّ ذلك لم يمنع من استمرار توسع الدولة الخوارزمية على حساب الحكم السلجوقي المتهالك، فاستطاع علاء الدين تكش خوارزمشاه أن يتوسع بحدود دولته غربًا وأن يجعل كلمته مسموعة بين حكام القوى السياسية بالمنطقة وخاصةً الخلافة العباسية، حيث رأى الخليفة الناصر لدين الله (575هـ- 622هـ/1179م- 1225م) - بعد عجزه عن التخلص من قوة السلاجقة- ضرورة الاستعانة بحكام خوارزم عليهم، فأرسل إلى علاء الدين تكش خوارزم يطلب منه المسير إلى حرب طغرل بن أرسلان (طغرلبك الثالث) آخر حكام السلاجقة، فكان ذلك أقصى ما تمنَّاه الخوارزميون، لتكون نتيجة الحرب التي وقعت

بين الطرفين سنة 590هـ/1193م نصرًا مؤزرًا لعلاء الدين تكش، حقق من خلاله طموحات أسلافه في السيطرة على أقاليم السلاجقة الممتدة من حدود العراق إلى بلاد ما وراء النهر[27].

4. الموقف السياسي الخوارزمي من الخطا، بين التحالف والإذعان والمواجهة:

تعدُّ دولة الخطا من الكيانات السياسية التي تشكَّلت في الأقاليم الشرقية لبلاد ما وراء النهر خلال مستهل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي؛ وهذا نتيجة الاضطرابات والصراعات التي كانت بين القوى السياسية الحاكمة في شمال بلاد الصين الموطن الأصلي لقبائل الخطا؛ حيث ظلت هذه الأخيرة مسيطرة على المنطقة لعقود ثُمَّ تنازلت على نفوذها لصالح أسرة كين Kin – التي كانت بالأمس القريب تابعةً لهم –، وهذا بعد سلسلة من الحروب فشل خلالها الخطا في مقاومة هذه الأسرة، وأدّت في النهاية إلى هزيمتهم وتشتت جيوشهم في حدود سنة 519هـ/1125م[28].

انتقل "يي لوتاشي" وهو أحد زعماء الخطا الفاريين من الهزيمة رفقة ما يقارب مائتين من رجاله المخلصين إلى الغرب باحثًا عن مكان يلتجأ إليه، فبلغ الأراضي الواقعة في الشمال الغربي من إقليم "شن سي" Sheni-Si أين كانت تعيش إحدى القبائل التركية التي خضعت لسلطة الخطا زمن قوتها ونفوذها، فقوبل من قبل أهلها بترحيب ورعاية كبيرين، وأعانوه على تشكيل جيشٍ قوي سار به إلى إقليم تركستان[29].

استغلّ"يي لوتاشي" الاضطراب السياسي والفوضى الاجتماعية التي كان يمرُّ به إقليم تركستان خلال تلك الفترة بسبب تعرضه لهجمات متكررة من طرف القبائل البربرية في الشمال والجنوب، حيث وبمجرد وصوله إلى الإقليم استنجد به خانات التركستان على أعدائهم، آملين في أن يعيد الاستقرار إلى المنطقة، وبالفعل فقد تمكَّن هذا القائد الخطائي من السيطرة على عاصمة الإقليم "بلاساغون" شمال مدينة كاشغر وعديد المدن الأخرى، كما واستطاع رد اعتداءات القبائل التركية؛ فأخذ نفوذه يتسع شيئًا فشيئًا ليصير صاحب النفوذ على تركستان وما يحيط بها، بل واتسعت مملكته لتشمل المنطقة الممتدة من حدود صحراء جوبي شمالاً إلى نهر سيحون غربًا ومن سيبيريا شمالاً إلى هضبة التبت جنوبًا، وقد نصَّب قادة

الخطا "بي لوتاشي" زعيمًا عليهم متخذًا لقب "كورخان" أي ملك الملوك، كما وجعل الديانة البوذية العقيدة الرسمية لدولته[30].

جاورت على هذا النحو دولة الخطا أو الدولة القراخطائية – التي اكتمل سلطانها على تركستان وأجزاء من بلاد من وراء النهر في حدود سنة 536هـ/1141م- أملاك المسلمين من ناحية الشرق (بلاد ما وراء النهر وإقليم خوارزم)، وقد تزامنت هذه المجاورة مع الصراعات الداخلية التي قامت بين القوى الإسلامية الحاكمة شرق بلاد فارس والمقصود هنا دولة السلاجقة والدولة الغورية والدولة الخوارزمية الناشئة؛ فكان من الطبيعي أن تقوم بينها وبين هذه الدولة الوثنية علاقات سياسية متباينة الأهداف والمصالح، وخاصةً مع الخوارزميين الذين سعوا للتخلص من عباءة الحكم السلجوقي و طمحوا في بناء كيان سياسي مستقل منذ عهد السلطان أتسز بن مُحَمَّد (521هـ- 551هـ/ 1127م- 1156م).

لقد دفعت مصالح السياسة بالخوارزميين في بداية علاقاتهم بدولة الخطا إلى محالفتهم والعمل على استغلال قوتهم واندفاعهم لإضعاف خصومهم السلاجقة؛ وخاصةً حينما تعرَّض أتسز إلى الهزيمة في حربه مع السلطان السلجوقي سنجر سنة 533هـ/1134هـ ومقتل ابنه في الموقعة- أشرنا إلى ذلك قبلاً-، فقد رأى أتسز من ضعفه ضرورة التحالف مع الخطا الطامعون هم أيضًا في التوسع على إقليم ما وراء النهر الخاضع وقتذاك لسلطة السلاجقة، فيشير عن ذلك ابن الأثير[31] بقوله:" فبعث خوارزم شاه إلى الخطا وهم بما وراء النهر يُطمعهم في البلاد ويُروِّجُ عليهم أمرها، وحثَّهم على قصد مملكة السلطان سنجر، فساروا في ثلاثمائة ألف فارس وسار إليهم سنجر في عساكره، فالتقوا بما وراء النهر"؛ بل وأكثر من ذلك فقد سعى أتسز لتعزيز تحالفه مع الخطا بالزواج منهم[32].

وإن كان أمر الصراع بين السلاجقة والخطا خلال تلك المرحلة أمرًا واقعًا لا محالة بعد الاعتداءات المتكررة لهؤلاء الأخيرين على مدن إقليم ما وراء النهر التابعة سياسيًا لسلطة السلاجقة واستنجاد حاكم سمرقند الخاقان محمود بن أرسلان مُحَمَّد بالسلطان سنجر (خاله) لردها[33]، إلاَّ أنَّ محالفة الخوارزميين للخطا الوثنيين قد كانت لها ارتدادات بالغة الخطورة على

حاضر ومستقبل الأقاليم الشرقية للعالم الإسلامي، حيث أبرقت دعوة أتسز للخطا بمواجهة السلاجقة وتشجيعهم على ذلك مدى التفكك والاضطراب الذي كانت عليه العلاقات بين القوى الإسلامية وقتذاك، كما وأراحتهم بضمان عدم مشاركة إقليم مهم كخوارزم بإمكانياته البشرية والمادية في تلك الحرب التي جيَّش لها كل طرف من العُدَّة والعتاد ما أسفرت نتائجها على رسم خريطة سياسية جديدة للمنطقة بكاملها.

وعلى أية حال فإنَّ نتائج تلك الموقعة التي دارت رحاها في قطوان في الخامس من شهر صفر 536هـ/سبتمبر 1141م[34]، بين الخطا والسلاجقة قد أسفرت على هزيمةٍ منكرة تعرض لها سنجر وقواته بلغت فيها أعداد القتلى من المسلمين حسب رواية ابن الأثير مائة ألف، منهم اثنا عشرة ألفًا من العلماء والفقهاء وأربعة آلاف امرأة، حتَّى أنَّ زوجة سنجر قد أسرت في المعركة[35]، لتكون تلك الهزيمة إيذانًا بخروج إقليم ما وراء النهر عن سلطان السلاجقة والسيادة الإسلامية عمومًا وخضوعه للخطا لما يزيد عن سبعون سنة[36]، ومعنى ذلك أيضًا حدوث تغيير خطير في الخريطة السياسية للعالم الإسلامي، حيث عُدَّ هذا الانحسار للسيادة الإسلامية لصالح الخطا الكفار الأول في أقاليمه الشرقية منذ أن صارت جزءً منه عقب الفتوحات الإسلامية خلال العهدين الأموي والعباسي الأول[37].

وبالعودة إلى موقف الدبلوماسية الخوارزمية من الأحداث الحاصلة نقول: إنَّ الهزيمة الساحقة للسلاجقة في قطوان بقدر ما كان لها دورٌ في إضعاف نفوذ السلاجقة وهيبتهم في كل من خراسان وبلاد فارس لصالح نفوذ الخوارزميين وتوسعاتهم؛ إلاَّ أنَّ ذلك لم يكن يعني خلو الجو لسلطان الخوارزميين في تلك الأقاليم، وأنَّ دعوتهم للخطا لمهاجمة السلاجقة في بلاد ما وراء النهر لم تكن تعني أيضًا بأنَّهم قد ضمنوا حليفًا وأمنوا خطرًا كان يهدد مصالحهم، فالحقيقة سرعان ما تجلَّت أمامهم حين طمع هؤلاء في التوسع والاستيلاء على أراضي الخوارزميين غربي نهر جيحون سنة 537هـ/1142م –أي بعد معركة قطوان– فاستولوا على سرخس ومرو ونيسابور، ثُمَّ عادوا عنها مكتفين بنهر جيحون كحد فاصل بينهم وبين الخوارزميين.

وفي سنة 546هـ/1151م حاول أتسز أن يمحو العار الذي لحقه من طرف الخطا بتجرُّئهم على حدود أقاليمه فسار إلى جند[38]، وانضم إلى كمال الدين نائبه فيها، غير أنَّ محاولته لم تحقق أي هدف؛ بل وأدَّى فشلها إلى خضوع أتسز للخطا واعترافه بتبعيته لهم وتعهده بدفع ضريبة سنوية مقدارها ثلاثون ألف دينار وكثير من منتوجات البلاد الخوارزمية[39].

توفي أتسز بن مُحَمَّد سنة 551هـ/1156م فورث الحكم بعده ابنه أيل أرسلان (551هـ- 568هـ/1156م- 1172م) الذي ورث كذلك عن أبيه طبيعة العلاقات المخزية مع دولة الخطا الوثنية، نتيجة الجزية المفروضة عليه؛ والتي كانت تُنقص إلى حدٍّ كبير من مكانته كحاكم على خوارزم وعديد المناطق في خراسان وفارس، فعمل على استعادة هيبة دولته بالوقوف إلى جانب أهل سمرقند ضد حاكمها الجائر التابع للخطا، غير أنَّهُ أُرغم على العودة إلى خوارزم دون تحقيق أهداف تذكر[40]، لتكون مبادرة الهجوم بعد ذلك من قِبل الخطا الذين رأوا عدم ترك الخوارزميين يُقوون أنفسهم بالتوسع على أملاك السلاجقة عقب وفاة زعيمهم القوي سنجر سنة 552هـ/1057م حتَّى لا توجه هذه القوة إليهم بعد ذلك، فحدث في سنة 567هـ/1171م أن عبرت جيوش الخطا نهر جيحون بهدف الاستيلاء على خوارزم، فخرج إليهم أيل أرسلان بجيشٍ كبير لردِّهم عن ممتلكات دولته، غير أنَّ الهزيمة كانت من نصيبه في النهاية، وأمَّا الخطا فقد اكتفوا بما أحرزوه من نصر وبما أحدثوه من ذعر في نفوس الخوارزميين وكرُّوا عائدين إلى بلادهم[41].

وفي السنة الموالية لهذه المعركة أي سنة 568هـ/1172م توفي السلطان الخوارزمي أيل أرسلان بن أتسز؛ وهو الذي كان مريضًا في معسكره حين مواجهته للخطا، فاغتصب حينها ابنه الأصغر سلطانشاه محمود حكم الدولة الخوارزمية بمعاونة أمه وبعض رجالات الدولة الموالين له؛ وهذا على حساب صاحب الحق الشرعي الابن الأكبر علاء الدين تكش الذي كان حاكمًا على مدينة "جند" بتكليفٍ من أبيه[42]، فحدث أن وقع النزاع بين الأخوين حول السلطة لعدم رضا علاء الدين على استيلاء أخيه على الحكم، فسعى في مواجهته بكل الطرق والوسائل المتاحة، لعلَّ أبرزها وأخطرها في الوقت ذاته استعانته بالخطا، حيث يذكر عن ذلك

صاحب الكامل[43]:" وقصد ملك الخطا واستمده على أخيه وأطمعه في الأموال وذخائر خوارزم..."

وافق الخطا على عرض علاء الدين بغية زيادة نفوذهم في الجزء الغربي لنهر جيحون، فسيَّروا جيشًا إلى خوارزم بقيادة أحد قوادهم المسمَّى كرما " Karama " أو "قرمًا" مثلما جاء عند ابن الأثير؛ ويصحبهم علاء الدين تكش بنفسه، فتمكَّن هذا التحالف من إيقاع الهزيمة بسلطان شاه الذي فرَّ يبحث عن ملجأ يأوي إليه وحليفٍ يستند عليه لمواجهة أخيه، فكانت سبيلهُ إلى غياث الدين ملك الغوريين الذي استقبله وأكرم وفادته، وأما علاء الدين فقد اعتلى عرش الخوارزميين وانتقم لنفسه بقتل والدة أخيه التي حرمته بمساعدة شخصيات في البيت الخوارزمي من وراثة حكم والده أيل أرسلان[44].

وعلى ما يبدو فإنَّ طبيعة العلاقات الخارجية للخوارزميين بدولة الخطا لم تكن مبنية على أسس ومبادئ واضحة تحكم في العادة الأنظمة السياسية، حيث تجلَّى ذلك في التحالفات المضادة ونقض العهود المبرمة بين الطرفين في وقت قصير، إضافةً إلى تحكم أهواء الحكام – وخاصةً من الخوارزميين– ومشاكلهم الداخلية في طبيعة تلك العلاقات، ولعلَّ من صور هذا الواقع بين القوتين السياسيتين ما كان من نقض علاء الدين تكش لعهوده اتجاه الخطا بعد مساعدتهم له في أخذ السلطة من أخيه ورفضه منحهم ما وعدهم به من خضوع تام لسيطرتهم وأموال وفيرة يبعث بها إليهم، بل أكثر من ذلك فقد قتل الرسل الذين جاؤوا كمبعوثين من طرف قادتهم لتحقيق بنود الاتفاق[45]، ممَّا أجَّج نار الخلاف والعداء بين الطرفين.

ولأنَّ سلطانشاه الناجي من القتل ما زال يعتبر نفسه جزءًا من السياسة الخوارزمية خلال هذه الفترة؛ فقد سعى إلى استغلال سوء علاقة أخيه – علاء الدين تكش– بالخطا بالتقرب منهم ومحالفتهم ضد أخيه، لعلَّه ينال حكم الدولة من جديد، وفي المقابل فإنَّ الخطا الراغبون في الانتقام من علاء الدين بعدما فعله برسلهم ونقضه العهود معهم فقد استجابوا لطلب سلطانشاه بإرسال جيش معه بقيادة كرما " Karama" نفسه – القائد الذي أرسله الخطا سابقا لمساعدة علاء الدين في أخذ السلطة–، غير أنَّ هذا الجيش الكبير الذي سار

قاصدًا خوارزم سنة 568هـ/1172م وحاصرها، تلقَّى هزيمةً منكرة بعد أن أمر علاء الدين بهدم جسور نهر جيحون فتدفقت المياه حتَّى كادوا يغرقون جميعًا[46].

ظلَّ بعد هذه الحادثة سلطانشاه ينتقل بين القوى السياسية الحاكمة في المنطقة يسترضيهم بغية مساعدته على استعادة السلطة من أخيه، وبدوره عمل علاء الدين تكش على الحد من أطماع سلطانشاه والتخلص منه، لتنتهي هذه الفترة من الصراع الداخلي في الدولة الخوارزمية بوفاة هذا الأخير سنة 589هـ/1193م[47]، ليخلو الجو بعد ذلك لعلاء الدين لبسط حكمه على كامل أرجاء الدولة الخوارزمية، خاصةً وأنَّهُ قد تمكَّن بعد سنة من وفاة أخيه – 590هـ/1193م – من إنهاء الحكم السلجوقي وقتل آخر سلاطينه طغرلبك الثالث وهذا بعد استنجاد الخليفة العباسي الناصر لدين الله عليه، وسنعود إلى هذا الحدث بتفاصيله في صفحات لاحقة من هذا البحث.

وعن علاقة علاء الدين تكش بالخطا فيما تبقى من فترة حكمه فقد عرفت نفس النهج والأسلوب (استغلالهم وقت الحاجة ثم نقض العهود معهم)، فحدث سنة 594هـ/1197م أن استعان بهم وطلب محالفتهم على غياث الدين الغوري سلطان الدولة الغورية، هذا الأخير الذي أمره الخليفة العباسي بمهاجمة ممتلكات علاء الدين تكش جهة الشرق قصد إرغامه على الحدِّ من أطماعه التوسعية في أقاليم العراق الخاضعة للسلطة العباسية[48]، فسار الخطا مجيبين دعوة علاء الدين راغبين في الحصول على مكاسب لدولتهم في أقاليم الدولة الغورية ولتحصين حدودهم كذلك فعاثوا حين وصولهم إلى خراسان فسادًا كبيرًا مُعملين في أهلها من القتل والتنكيل الشيء الكثير، ورغم ذلك فإنَّ النصر في النهاية كان من نصيب الغوريين بعدما جمعوا قواهم في حلف كبير استطاع هزيمة جيوش الخطا شر هزيمة[49].

والواقع أنَّ مواقف السياسة الخارجية للخوارزميين وخاصة على عهد أتسز بن مُحَمَّد وحفيده علاء الدين تكش من خلال ممالئة الخطا الوثنيين ومحالفتهم على القوى الإسلامية (السلاجقة والغوريين) بغية التمكين والسيطرة على الحكم والتوسع على الأقاليم المحيطة بدولتهم، قد كانت لها عواقب وخيمة على قوة الجبهة الإسلامية المتاخمة للقوى الوثنية في

الشرق؛ فأدَّت جملة المعارك والحروب التي كان يخوضها الخطا ضد المسلمين على سقوط ضحايا بعشرات الآلاف وتدمير عديد المدن، إضافةً إلى خلق جو مشحون تطبعه الصراعات والفتن بين مختلف الأطراف في المنطقة، ممَّا أدَّى إلى إرباك هذا الثغر من الثغور الإسلامية وإضعافه ضد أي عدوان يأتي جهة الشرق.

وعلى أية حال فإنَّ الخطا بعد هزيمتهم أمام القوات الغورية حمَّلوا علاء الدين تبعات خسارتهم وطالبوه بدفع مبلغ عشرة آلاف عن كل قتيل من قتلاهم الذين بلغ عددهم اثنا عشرة آلفًا، فضلاً عن الحضور إلى بلادهم وإعلان فروض الطاعة والولاء[50]، ولكنَّ علاء الدين رفض هذه الأوامر واعتبر الاستجابة لها تقليلٌ من شأنه وشأن دولته، ليقرر أمام صعوبة موقفه إصلاح علاقته بالدولة الغورية والتقرب منها ومحالفتها ضد الخطا، وبالمقابل اشترط غياث الدين الغوري ربط أي تقارب في العلاقة مع الخوارزميين بكفِّ هؤلاء الأخيرين عن عداوتهم للخلافة العباسية وعدم التعرض للأقاليم العراقية الواقعة شرق بغداد وهو ما وافق عليه علاء الدين تكش دون تردد.

وهكذا وبعد أن اطمأن الزعيم الخوارزمي على علاقاته بالغوريين أرسل إلى الخطا رسالةً يرفض من خلالها الامتثال والخضوع لمطالبهم السابقة، بل نفى أن يكون مسيرهم في محاربة الغوريين لنصرته، ولكن لانتزاع مدينة بلخ من السيطرة الغورية، هذه المدينة التي كانت تتبع الخطا وكان حكامها يدفعون جزيةً سنوية لهم، حيث استمر هذا الوضع إلى غاية سنة 594هـ/1197م أين انتقلت السيادة عليها للغوريين، فكان مسير العساكر الخطائية لهذا السبب، كما أنَّ علاء الدين أعلمهم في هذه الرسالة بأنَّهُ صالح غياث الدين الغوري ودخل في طاعته ولم يعد لهم عليه طاعة[51]، ليكون ردّ الخطا على رسالة علاء الدين تكش بأن جهَّزوا جيشًا كبيرًا لغزو خوارزم، غير أنَّهُ فشل في تحقيق مهمته بعد أن صدَّتهُ قوات علاء الدين في حرب أشبه ما تكون بحرب العصابات، فقتل الكثير من الجنود الخطائيين وتقهقر من نجا منهم إلى بلادهم، ثم تعقَّبتهم الجيوش الخوارزمية إلى بخارى التي تمكَّنت من انتزاعها منهم سنة 594هـ/1197م[52].

توفي علاء الدين تكش بن أيل أرسلان سنة 596هـ/1199م وترك دولته على وفاق ومسالمة حذرين مع مختلف الأطراف السياسية في المنطقة (الخطا والغوريين والخلافة العباسية)، ثُمَّ خلفه في الحكم ابنه قطب الدين مُحَمَّد الذي تلقَّب بلقب أبيه "علاء الدين" (596هـ-617هـ/1199م- 1221م) فكان على عاتق هذا الأخير مسؤولية كبيرة في الحفاظ على ممتلكات أسلافه وفرض سلطة دولته كقوة سياسية لها مكانتها في المنطقة وبخاصة مع الخطا الذين لا يزال مقيدًا معهم بضريبة سنوية كبيرة ورثها عن حكم أبيه(53).

عوَّل علاء الدين مُحَمَّد خوارزمشاه على التخلص من تلك التبعية المذلة لدولته لصالح دولةٍ وثنية بسبب الجزية المفروضة عليه، وهذا منذ أن تولى الحكم في خوارزم غير أنَّهُ أراد ظروفًا أحسن للشروع في تطبيق سياسته، لتتاح له فرصة التمرد سنة 604هـ/1207م حين راسله حاكم سمرقند وبخارى – وكان حينها خاضعا للخطا ويدفع لهم جزيةً سنوية- يشكو إليه الحال ويبدي أسفه لخضوع المسلمين لقوة الخطا الوثنية، ثُمَّ عرض عليه نقض العهد معهم والمسير في محاربتهم، مقابل أن يحمل إليه ما كان يدفعهُ للخطا من أموال ويضرب اسمه على السكة ويخطب له على منابر سمرقند وبخارى، كما وبادر الزعيم السمرقندي بغية تعزيز الثقة في ذلك التحالف بأن بعث إلى سلطان الخوارزميين بعض من أعيان بخارى وسمرقند كرهائن لديه(54).

وجد علاء الدين خوارزمشاه في هذه الفرصة سبيلاً للتخلص من تبعيته للخطا، فشرع قبل التجهز لإعلان العصيان والتمرد عليهم في تحصين دولته داخليًا؛ فولَّى على مدنها وأقاليمها رجالاً من ثقاته أغلبهم من أقاربه، كما وجهَّز كل واحدٍ منهم بقوة عسكرية كافية تضمن فرض طاعته خلال فترة غيابه في حرب الخطا، ليعلن بعدها تمرُّدهُ على هؤلاء حينما أرسلوا كعادتهم سنة 604هـ/1207م رسولاً لأخذ الجزية السنوية فقام علاء الدين مُحَمَّد بقتل الرسول شر قتلة، ثُمَّ سار بجيوشه عابرًا نهر جيحون أين انظم إليه حليفه عثمان سلطان سمرقند وبخارى.

التحمت الجيوش الإسلامية المتحالفة مع القوات الخطائية في معركة استمر القتال فيها طويلاً، وأسفرت عن هزيمة القوات الإسلامية وأسر العديد من الجنود حتَّى أنَّ علاء الدين خوارزمشاه نفسه وقع في الأسر لولا أنَّهُ تمكَّن من الهرب بحيلةٍ دبرها أحد الأمراء الذين أسروا

معه ويدعى فلان بن شهاب الدين مسعود[55]، ورغم الهزيمة التي مني بها علاء الدين مُحَمَّد فقد أعاد هجومه على الخطا في السنة التالية 605هـ/1208م عازمًا على تحقيق غايته في القضاء على هذه الدولة.

وبالفعل فقد تمكَّنت القوات الإسلامية هذه المرَّة من تحقيق النصر على القوات الخطائية فقتل وأسر من جنودهم العدد الكثير، وكان من جملة المأسورين قائد جيوش الخطا "طاينكوه" وهو شيخ طاعن في سن تجاوز المائة فأكرمه الخوارزميون واعتنوا به وسيَّروهُ إلى خوارزم، ليتمكَّن علاء الدين على إثر هذا النصر الذي وقع سنة 606هـ/1209م من السيطرة على كامل بلاد ما وراء النهر مدينة مدينة وناحية ناحية، ووصلت حدود دولته إلى مدينة "أوزكند" على نهر سيحون[56]، ليبلغ مجدًا لطالما حلم أسلافه بتحقيقه؛ حيث اعتبره أنصاره ظل الله في الأرض واتخذ هو لنفسه لقب "سنجر" تيمُنًا بالسلطان السلجوقي القوي وطول فترة حكمه.

لقد اتضح لنا من خلال عرض مواقف السياسة الخارجية للخوارزميين مع دولة الخطا أنَّ الاعتبار الديني لم يكن عاملاً مطروحًا لدى القوة الإسلامية في تعاملاتها، بل أنَّ مصالح السياسة كانت أبرز العوامل التي بنى عليها الحكام الخوارزميون أسس العلاقة مع الخطا الوثنيين، فرأينا كيف دفعتهم رغبات التوسع والسيطرة وفرض النفوذ على عقد تحالفات عسكرية معهم ضد إخوانهم في الدين (السلاجقة والغوريين) وهو ما أدَّى إلى وقوع الكثير من الضحايا من المسلمين وتدمير العديد من المدن في تلك المعارك (كمعركة قطوان)، إضافةً إلى ذلك فإنَّ السياسة الخوارزمية على عهد زعمائها الأوائل (أتسز وأيل أرسلان وعلاء الدين تكش) كانت تسعى لاستغلال قوة الخطا في تحقيق مصالحها دون العمل على إزالتها ككيان من المنطقة، ولهذا كانوا يمازجون في سياستهم معهم بين الخضوع تارةً بدفع ضريبة سنوية والمنازعة وإظهار القوة تارةً ثانية، وهذا كلَّه من أجل إبقاء هذه القوة كحاجز بينهم وبين القبائل المغولية التي شرعت تتوحد تحت راية واحدة بقيادة زعيمهم "جنكيز خان" وأخذت تتوسع على حساب الأقاليم الصينية؛ ومن المحتمل أن تُيمِمَ وجهها شطر الغرب حيث الدولة الخوارزمية[57].

غير أنَّ هذه السياسة لم تستمر على عهد علاء الدين مُحَمَّد خوارزم، حيث رأى هذا الأخير بأنَّ ما بلغته دولته من قوة في عهده لن يكون لها معنى إلاَّ إذا تخلَّص من قيود التبعية لدولة الخطا، فكان هدف محاربتهم وإزالة دولتهم الخط السياسي الجديد للدولة الخوارزمية[58]، فتحقق له بعد مواجهتهم وهزيمتهم مع حليفه سلطان سمرقند وبخارى سنة 606هـ/1209م جزء كبير من هذا الهدف، وأمَّا الجزء المتبقي فقد أتمَّهُ كشلو –خان قبيلة النايمان– Naimans ويذكره ابن الأثير[59]، باسم "كشلي خان" الذي دفعته توسعات المغول تحت قيادة زعيمهم جنكيز خان إلى الفرار صوب الغرب حيث أقاليم دولة الخطا، أين سعى للإطاحة بدولتهم مستغلاً ضعفهم وتمزق جيوشهم على يد القوات الخوارزمية.

بعث كشلوخان إلى علاء الدين مُحَمَّد عرضًا للتحالف معه ضد الخطا باعتبارهم عدوًا مشتركًا بينهما، كما وتعهَّد له في عرضه بأنَّهُ في حال النصر لن يقرب بلاده وسيقنع بما كان لدى الخطا من أقاليم، وفي الوقت ذاته أرسل ملك الخطا "كورخان" إلى علاء الدين يطلب منه تناسي ما كان بينهما من خلاف ويعرض عليه التحالف ضد هذا الوافد الجديد الغير معروفة نواياه اتجاه المنطقة، فكان علاء الدين أمام موقف سياسي خطير وجب التعامل معه بكل حنكة واستشراف خصوصًا في ظل الظروف التي تمرُّ بها المنطقة جهة الشرق مع توسعات المغول.

تظاهر علاء الدين خوارزم بقبول كلا العرضين وتعهَّد للطرفين بالمساعدة في حرب الآخر، فسارت جيوش "كشلوخان" و"كورخان" في حرب بعضهما البعض وكلٌّ منهما يظنُّ بأنَّ القوات الخوارزمية حليفته في تلك الحرب، غير أنَّ علاء الدين أمر المقاتلين بعدم التدخل في المعارك إلاَّ بعد أن تتضح كفة النصر إلى أي جهةٍ تميل فينظم بعد ذلك إليها بقواته، فحدث أن تغلَّبت قوات كشلوخان وهزم الخطا شر هزيمة، فدخل حينها علاء الدين بجيوشه يمعن القتل فيمن تبقَّى من جيوش الخطا لتزول على ذلك هذه الدولة التي عمَّرت ما يقارب الثمانين عقدًا[60].

جاور كشلوخان بسيطرته على ممتلكات دولة الخطا الدولة الخوارزمية فارتسمت على إثر ذلك خريطة جيوسياسية جديدة بالمنطقة كانت لها ارتدادات بالغة الخطورة على مستقبل العالم الإسلامي عمومًا وعلى الدولة الخوارزمية بالخصوص كجدار صد أول لأي خطر يأتي من جهة الشرق، حيث تكمن هذه الخطورة في كون كشلوخان عدو قديم لجنكيز خان وبمجاورته للدولة الخوارزمية فقد فتح أعين هذا الزعيم التتري على الأقاليم الغربية رغبةً في الانتقام من عدوِّه القديم[61]، لتكون مواقف السياسة الخارجية للخوارزميين من الخطا ومختلف القوى التي حكمت في المنطقة من أبرز العوامل التي رسمت أحداث القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بمآسيه التي صنعها المغول.

5. العلاقات العباسية – الخوارزمية وتقلبات السياسة:

1.5 التقارب في خدمة المصالح:

مرَّت مواقف السياسة الخارجية للخوارزميين مع سلطة الخلافة العباسية منذ حكم قطب الدين مُحَمَّد بن أنوشتكين (490هـ/1096م) بمرحلتين أساسيتين؛ شهدت الأولى منها مساعي للتقارب بين الطرفين حتَّى قبل أن يستقل أتسز بن مُحَمَّد بحكم إقليم خوارزم، ولعلَّ ذلك راجع لوجود عدو مشترك لدى كل منهما وهم السلاجقة[62]، فالخلافة العباسية ظلت ترى سلطانها ضائع وهيبتها مفقودة مع الحكم السلجوقي لأقاليم واسعة من الخلافة وتدخلهم في عزل وتعيين الخلفاء، فضلاً على الصراعات الدائمة بين أفراده والتي أثرت بشكل كبير على استقرار الوضع السياسي في ظل تزايد الأخطار وتكالب القوى الخارجية (الصليبيين غربًا والأتراك الوثنيين شرقًا)، فرأت في وجود قوة ناشئة تستغلها في إضعاف هذا الحكم وإنهاءه أمرٌ في غاية الاستعجال[63].

وأمَّا الخوارزميون الطامحون لرسم خطهم السياسي بعيدًا عن حكم السلاجقة انطلاقًا من إقليم حكمهم في خوارزم؛ فقد كان التقرُّب من الخلافة لنيل المكانة والحظوة وربح نقاط في صراعهم مع السلاجقة سببًا قويًا للإذعان بالولاء والطاعة لسلطة الخلافة العباسية وخاصةً منذ حكم أتسز بن مُحَمَّد (521هـ/1127م)، فقد ظلَّت شرعية الحكم التي يمنحها الخليفة في بغداد

للقوى الحاكمة في مختلف الأقاليم من أهم الخطوات على طريق الاستقلال السياسي وتحقيق الطموحات التوسعية[64].

غير أنَّ سقوط دولة السلاجقة سنة 590هـ/1193م بفضل التحالف العباسي – الخوارزمي نقل طبيعة العلاقات بين الطرفين من النقيض إلى النقيض وصار العداء ولغة الحرب عنوانًا لما تبقى من عمر السلطتين بسبب تصادم أهداف ومصالح كل طرف بالآخر؛ وخاصةً ما تعلق منها بالسيطرة على ممتلكات دولة السلاجقة المنهارة والممتدة على أرجاء واسعة، إضافةً إلى رغبة الخوارزميين في نيل نفس الامتيازات والمكانة التي تمتع قبلهم كل من البويهيين والسلاجقة في بغداد، فكانت بذلك هذه المرحلة من العلاقات بين أكبر قوتين إسلاميتين فيما يلي العراق شرقًا من أبرز العوامل التي ساهمت في توجيه الأحداث السياسية في شرق العالم الإسلامي خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي أي زمن الغزو المغولي لديار الإسلام.

وبالعودة إلى تفاصيل المرحلة الأولى من مواقف السياسة الخارجية للخوارزميين مع خلفاء بني العباس بين سنتي (521هـ/1127م) و(590هـ/1193م) فنقول: أنَّ أولى بدايات الاتصال بين الطرفين كانت على عهد الخليفة العباسي المسترشد بالله (512هـ-529هـ/1118م- 1135م) حين أرسل الخلع سنة 528هـ/1134م لأتسز بن قطب الدين مُحَمَّد رغم كون هذا الأخير حاكم ولاية عن السلاجقة ومعيَّن من قبلهم[65]، ولعلَّ هذا السلوك من قبل الخليفة كان مقصودًا، وسعى من خلاله لزيادة مشاكل السلاجقة ببث روح العداء والتمرد لدى الأمراء الحاكمين في مختلف الأمصار والإيحاء لهم بإمكانية دعمهم في خروجهم عن طاعة السلاجقة.

وقد حدث فعلاً –كما أشرنا سلفًا– أن قاد أتسز بن مُحَمَّد تمردًا على سنجر سلطان السلاجقة في خراسان وبلاد ما وراء النهر سنة 529هـ/ 1135م بالموازاة مع مسير الخليفة المسترشد لحرب السلطان مسعود بن مُحَمَّد في جيشٍ بلغ سبعة آلاف مقاتل، غير أنَّ النتيجة لم تسعف كل من أتسز والخليفة في حربهم مع السلاجقة فانهزم الأول لتباين ميزان القوة مع

السطان سنجر وفشل الثاني في إخضاع مسعود لوجود خيانة داخل جيشه من العناصر التركية والجنود الأعراب، وانتهت المعركة بسجن الخليفة ومقتله بعد ذلك على يد جماعة من طائفة الإسماعيلية (الباطنية)[66]، وقد استمر هذا التقارب كذلك على عهد الخليفة الراشد بالله (529هـ- 532هـ/1134م- 1137م) الراغب في الثأر لمقتل أبيه.

وأمَّا على عهد المقتفي لأمر الله (532هـ- 555هـ/ 1137م- 1160م) فقد توضَّحت صورة العلاقات بين شاهات خوارزم والخلافة العباسية بشكل كبير، ترجمتها جملة الرسائل التي كان يبعث بها أتسز بن مُحَمَّد إلى الخليفة والتي كتبها له بالعربية رشيد الدين الوطواط كاتب الإنشاء في الدولة الخوارزمية، حيث تضمّنت عبارات الولاء والطاعة والاعتراف بسلطان الخليفة الشرعي فكان يخاطبه بعبارة:"سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وإمام المسلمين خليفة رسول رب العالمين"، كما وأنَّ أتسز سعى من خلال هذه الرسائل للفت نظر الخليفة لأهمية إقليم خوارزم في حماية خراسان ومناطق الثغور مع الترك الوثنيين في الشرق، ويؤلِّبه في الوقت ذاته على سنجر وحكام السلاجقة فيقول في إحداها:" فأيُّ خيرٍ يُرجى من جانبهِ وأيُّ صلاحٍ يُتوقَّعُ منه لمصاحبهِ ومُجانبهِ"[67].

وعلى نفس النهج سار خوارزم شاه أيل أرسلان بن أتسز (551هـ- 568هـ/1156م- 1172م) الذي خلف والده في حكم الدولة الخوارزمية في مواقفه الخارجية مع الخلافة العباسية، حيث ضمَّن عِدَّة رسائل بعث بها إلى الخليفة المستنجد بالله (555هـ- 566هـ/ 1160م- 1170م) يؤكِّدُ فيها اعترافه بسلطان الخليفة الروحي على ممتلكاته وهو الأمر ذاته مع خليفته المستضيء بأمر الله (566هـ- 575هـ/1170م- 1179م) حيث ظلَّ حكام الدولة الخوارزمية يقيمون الخطبة للخلفاء العباسيين ولا يتركون أي مناسبةٍ إلاَّ وعبَّروا لهم فيها على ولائهم وطاعتهم.

وباعتلاء علاء الدين تكش بن أيل أرسلان (568هـ- 596هـ/ 1173م- 1199م) عرش الدولة الخوارزمية أخذت العلاقات مع الخلافة العباسية تسير في اتجاهٍ أعمق، فتحوَّل مجرد الولاء والإذعان بالطاعة من طرف الخوارزميين لبغداد إلى تحالف استراتيجي

عسكري ساهم في قيامه عوامل عِدَّة تتعلَّق بكل طرف من الأطراف الثلاثة (الخوارزميون والعباسيون والسلاجقة)، فتصادف خلال هذه الفترة من حكم علاء الدين تكش تولِّي الخليفة العباسي الناصر لدين الله (575هـ- 622هـ/1179م- 1225م) الحكم في بغداد؛ هذا الأخير الذي عزم منذ توليه السلطة على إنهاء الحكم السلجوقي المتداعي وغسل الإهانة التي طالما طبعت حكم الخلفاء العباسيين في ظل نفوذهم ببغداد[68]، فكان ممَّا قام به في هذا الشأن رفضه طلب تقدَّم به السلطان السلجوقي طغرلبك بن أرسلان (573هـ- 590هـ/1177م- 1193م) سنة 583هـ/1187م لعمارة دار السلطنة ببغداد حتَّى يسكنها عند مجيئه، بل أن الناصر لدين الله أمر بنقضها وتهديمها[69].

أتبع الخليفة العباسي هذا الموقف بإرساله جيشًا في محاربة السلطان طغرلبك سنة 584هـ/1188م تحت قيادة وزيره جلال الدين أبي المظفر عبيد الله، فالتقى الطرفان قرب همذان أين جرت معركةٌ هُزِمَ فيها جند الخليفة؛ ومع ذلك فقد عاود الناصر إرسال جيش آخر بقيادة مجاهد الدين خالص الخالص وقام بالتحالف مع أتابك أذربيجان قزل أرسلان حيث تمكَّنت القوات المتحالفة من الظفر بالمعركة وأسر السلطان طغرل وسجنه في قلعة دزمار قرب تبريز، غير أنَّهُ تمكَّن من الفرار وإعادة نفوذه على الري وهمذان.

لم يعد أمام الخليفة العباسي من سبيل في إنهاء السطوة السلجوقية سوى الاعتماد على قوة الخوارزميين الناشئة التي ما فتئت تقتطع من ممتلكات السلاجقة في خراسان في ظل الحروب المستعرة بينهما منذ عهد أتسز وسنجر – أشرنا إلى ذلك سلفًا-، وطمعت أيضًا في التوسع غربًا على حساب سلاجقة العراق الذين دبَّ الضعف إليهم بسبب الصراع على الحكم بين أفراده وخاصةً بين طغرلبك بن أرسلان شاه (طغرلبك الثالث) آخر السلاطين السلاجقة وعمِّهِ قزل أرسلان بن الدكز الذي طمع في السلطنة هو الآخر.

أرسل الخليفة الناصر لدين الله إلى علاء الدين تكش خوارزمشاه يشكو إليه طغرلبك ويحثُّهُ على قتالهِ ويعِدُهُ أن يقطِعَهُ ما بيدهِ من البلاد إذا قام بالأمر[70]، فكانت تلك الدعوة مَبْلَغَ ما كان ينتظره الخوارزميون لتحقيق أمانيهم في بناء سلطنة مترامية الأطراف، فسارع علاء

الدين تكش وسار بجيوشه قاصدًا آخر سلاطين السلاجقة فكان اللقاء قرب مدينة الري سنة 590هـ/1193م، أين جرت معركةٌ دامية بين الطرفين انتهت بمقتل طغرلبك وقطع رأسه ثُمَّ إرساله إلى خوارزمشاه الذي أهداه بدوره للخليفة العباسي الذي سُرَّ بذلك وأمر أن يُعلَّقَ على إحدى أبواب بغداد عِدَّة أيام، ليقابل الخليفة صنيع الخوارزميين بإرسال الخلع السلطانية إلى علاء الدين تكش مع وزيره مؤيِّد الدين بن القصاب وتقليده حكم البلاد التي كانت بيد السلاجقة في خراسان والعراق العجمي[71].

2.5 معاداة سلطة الخلافة ومحاولة إسقاطها:

أدَّى سقوط دولة السلاجقة بمقتل آخر سلاطينها طغرلبك الثالث سنة (590هـ/1193م) إلى دخول العلاقات الخوارزمية- العباسية مرحلةً جديدة؛ حيث كشفت الأيام القليلة التي تلت ذلك الحدث بأنَّ التوافق بين خوارزم وبغداد في المرحلة السابقة أملته في حقيقة الأمر المصالح المتبادلة بينهما وخاصةً القضاء على النفوذ السلجوقي بالمنطقة، فخوارزمشاه علاء الدين تكش لم يكن ليرضى – بعد أن بلغت حدود دولته ذلك الاتساع والقوة- بأن يكون تابعًا للخليفة العباسي وخاضعًا لسلطانه؛ بل ادعى أحقيته فيما كان تحت حكم السلاجقة من الأقاليم ومن حقوق لدى الخلافة، فطلب إقامة الخطبة لهم في بغداد ونقش أسمائهم إلى جوار اسم الخليفة على السكة، وإعادة دار السلطنة إلى ما كانت عليه زمن السلاجقة حتى إذا حضر بغداد أقام فيها[72].

غير أنَّ طموحات الخوارزميين هذه اصطدمت بموقف الخلافة العباسية على عهد الناصر لدين الله، هذا الأخير الذي يذكر عنه المؤرخون بأنَّهُ بذل جهودً كبيرة في سبيل إعادة الهيبة والنفوذ للخلافة العباسية؛ فيذكر السيوطي[73]، في هذا المقام أنَّهُ بلغ من عِظم نفوذه وسلطانه أنَّهُ استطاع إقامة الخطبة لنفسه في أقاليم واسعة من البلاد الإسلامية التي تمتد من حدود الصين إلى بلاد الأندلس، فكان أشدَّ بني العباس وأكثرهم قوة، وعليه فقد عوَّل الناصر على بسط سيادته على المناطق التي استولى عليها الخوارزميون من السلاجقة وخاصةً مدن العراق العجمي القريبة من مقر حكمه، لذلك نجده يقابل مطالب علاء الدين تكش بالخطبة

وضرب اسمه على السكة بالسلب؛ بل ويعمل على هدم دار السلطنة لإنهاء أي أطماع للخوارزميين في حكم بغداد والعراق عمومًا.

وانطلاقًا من هذا التضارب في المصالح والأهداف مع الخلافة العباسية منذ سنة 590هـ/1193م فقد اتخذ الخوارزميون في سياستهم الخارجية مع بغداد موقفًا عدائيًا؛ ترجمتهُ عدَّة معارك وحروب طاحنة بين الطرفين، كما وكان من نتائج ذلك الموقف العدائي لخوارزمشاه علاء الدين تكش اتجاه الخلافة العباسية دخول عدَّة أطراف في المنطقة ضمن دائرة النزاع كالغوريين والخطا، وهو ما أسفر على ارتباك وعدم استقرار الأوضاع في هذا الجزء من العالم الإسلامي في وقتٍ كان فيه تيموجين (جنكيز خان) يسعى لبناء إمبراطورية مغولية واسعة الأرجاء على حساب القوى المحيطة به جنوبًا وغربًا.

ابتدأ الصدام بين الخلافة العباسية والخوارزميين بعد سنة واحدة من سقوط حكم السلاجقة؛ وذلك حين بعث الخليفة الناصر لدين الله سنة 591هـ/1194م جيشين من بغداد بهدف استعادة مدن العراق العجمي التي كانت تحت سلطة السلاجقة وأخذها منهم الخوارزميون عقب هزمهم سنة 590هـ/1193م، فكان الجيش الأول بقيادة سيف الدين طغرل الذي قصد استعادة أصفهان، وكان فيها حينذاك يونس خان بن علاء الدين تكش، فبمجرد وصول قوات الخلافة لأصفهان غادرها الخوارزميون وعادوا إلى خراسان فدخلها عسكر الخليفة وتملَّكها، وأمَّا الجيش الثاني فكان تحت قيادة الوزير مؤيد الدين بن علي المعروف بابن القصاب وقصد خوزستان وهمذن فتمكَّن من تملكهما هو الآخر بعد أن اضطر الخوارزميون لمغادرتها عائدين شرقًا إلى مدينة الري[74].

وهكذا استطاع الخليفة الناصر أن يبسط سلطانه على إقليم العراق العجمي ويطرد الخوارزميين منه حتَّى يكونوا بعيدين عن حدود ملكه، ويذكر أنَّ ممَّا ساعد الخلافة العباسية على استعادة العديد من المدن كره أهل المنطقة للخوارزميين ورفض حكمهم، وأمَّا علاء الدين تكش خوارزمشاه فقد أنكر على الخليفة أخذه البلاد من عسكره، وطلب إعادتها لحكمه وتقرير الصلح بينهما، ولكنَّ طلبه قوبل بالرفض فسار بجيوشه سنة 592هـ/1195م عازمًا على

استعادة ما أخذه الخليفة فالتقى الجيشان في معركة دامية قتل فيها من الطرفين الكثير وانتهت بتفوق الجيش الخوارزمي ليعيد علاء الدين تكش سيطرته على الري وهمذان وأصفهان[75].

تعرَّض حكم الخوارزميين في مدن العراق العجمي وخاصةً همذان إلى مقاومة شديدة من طرف أهلها، حيث كانوا كارهين للوجود الخوارزمي على مستوى السلطة في إقليمهم، فكانوا يتنكرون بزيهم ثم يهاجمونهم، فأمر علاء الدين تكش للحدِّ من هذه الأفعال بقتل كل رجل عراقي يلبس قلنسوة خوارزمي[76]، كما وأتبع هذه الأوامر بمواقف أكثر تطرفًا في معاملة أهالي مدن العراق العجمي فقام جنده بأعمال النهب والإغارة ومصادرة أموال العامة والعلماء وغلق الدور والمدارس وإراقة الدماء كما تسال قطرة الماء حسب تعبير الرواندي[77].

عمل الخليفة العباسي بعد أن أعيته الحيلة في رد علاء الدين تكش عن أطماعهم التوسعية إلى مصالحته، وبعث إليه برسالة عن طريق مجير الدين أبا القاسم محمود بن المبارك البغدادي يذكره فيها بفضل الخلافة العباسية على أسرته وبأنَّهم هم من منحوا أباه وجدَّهُ الملك من قبل، ونحن نقرره الآن لك فاقنع بما هو موجود ولا تطمع في غيره، محذرًا إياه في رسالته بتأليب المسلمين عليه بسبب خروجه على طاعتهم فتراق لأجل ذلك الدماء[78]، فأبدى خوارزمشاه للرسول الكثير من الاحترام وللخلافة التبجيل والطاعة رغم علمه بضعف الخليفة وبعدم قدرته على جمع المسلمين على حربه.

لم تتوقف أطماع علاء الدين التوسعية عند رسالة الخليفة، فطلب منحه حكم ولاية خوزستان لتغطية نفقات الجند المتزايدة، ثُمَّ بعث إلى الناصر لدين الله سنة 592هـ/1195م يطلب السلطنة وإعادة دار السلطنة كما كانت عليه زمن السلاجقة ويكون مقامه في بغداد مع الخليفة، فغضب الناصر لذلك ورد الرسول الخوارزمي بلا جواب، كما وأخذ يعمل على إثارة المشاكل لعلاء الدين باستمالة نائبه في العراق العجمي شمس الدين مياجق وهذا لشغله وصرف أنظاره عن الخلافة[79].

اضطر الخليفة بعد أن استنفذ العديد من السُبل للحد من خطر الخوارزميين إلى الاستنجاد بالغوريين، فبعث —كما أشرنا إليه آنفًا– إلى غياث الدين الغوري يحثُّهُ على مهاجمة

أملاك الخوارزميين في الشرق لصرف مطامعه في العراق، فلمَّا أجاب السلطان الغوري طلب الخليفة وشرع في مهاجمة أملاك علاء الدين تكش، رأى هذا الأخير ضرورة التحالف مع الخطا الوثنيين محذرًا إياهم من خطر تعاظم نفوذ الغوريين، وقد رأينا سلفًا كيف انتهى ذلك التحالف الذي قام سنة 594هـ/1197 إلى هزيمة الخطا هزيمةً منكرة على يد الغوريين، وما تبعها من تدهور للعلاقة بينهم وبين الخوارزميين بسبب مطالبهم المالية الضخمة كتعويض عن ضحاياهم في تلك الحرب، ممَّا دفع علاء الدين تكش إلى تحسين علاقته بالغوريين في مواجهة الخطا، غير أن شروط غياث الدين في قبول التحالف تركَّزت على طاعة الخوارزميين للخليفة وكفِّ الأعمال العدائية ضده، وهو ما وقع فعلاً فكان من نتائج تحسن العلاقة بين الطرفين أن أرسل الناصر لدين الله بخلع السلطنة إلى علاء الدين خوارزمشاه وتقليد ما بيده من البلاد وكان ذلك سنة 595هـ/1198م[80].

استمرت علاقات الود والتفاهم بين علاء الدين تكش والخلافة العباسية فيما تبقى من سنوات حكم السلطان الخوارزمي؛ الذي توفي في رمضان من سنة 596هـ/1199م، ليخلفه على رأس الدولة ابنه قطب الدين مُحَمَّد الذي تسمَّى باسم أبيه علاء الدين، (596هـ-617هـ/1199م- 1220م)، ومع هذا الأخير يبدأ فصل جديد من فصول مواقف السياسية الخارجية للخوارزميين مع سلطة الخلافة في بغداد.

تشير العديد من المصادر إلى أنَّ السياسة الخوارزمية اتجاه الخلافة العباسية على عهد علاء الدين مُحَمَّد خوارزمشاه قد مرَّت بمرحلتين أساسيتين: اتَّسمت فيها المرحلة الأولى بالمسالمة والحسن فترجمتها عديد المراسلات بين الطرفين لتقوية العلاقات بينهما في هذا الاتجاه، واستمرت هذه المرحلة إلى غاية سنة 607هـ/1210م، لتبتدئ مرحلة جديدة كان فيها العداء بين الطرفين السمة البارزة، حيث بلغت حد مسير العسكر الخوارزمي قاصدًا الإطاحة بحكم الخليفة العباسي الناصر لدين الله، وتحقيق طموح الاستيلاء على السلطنة وامتيازاتها مثلما كان الحال عليه زمن البويهيين والسلاجقة[81].

والحقيقة أنَّ ما يهمنا في هذا الشأن المرحلة الثانية من العلاقات الخوارزمية – العباسية على عهد علاء الدين مُحَمَّد خوارزمشاه، ذلك أنَّ حسن العلاقات وسلميتها بين قوتين إسلاميتين هو أمر طبيعي ولا يحتاج للاستغراب أو الاسترسال في التحليل – على الأقل في بحثنا هذا–، وأمَّا المرحلة الثانية التي اتسمت بالعداء فقد كان لأحداثها ارتدادات خطيرة على العالم الإسلامي برمته، على اعتبار أنَّ الدولة الخوارزمية وقتها كانت القوة الإسلامية الأولى في الشرق وحماية الثغور تقع على مسؤوليتها، وأنَّ أي ضعفٍ يصيبها سيفتح المجال على مصراعيه للقوى الغازية للسيطرة على مقدرات الإسلام وأهله.

تمكَّن الخوارزميون من إزالة دولة الخطا سنة 607هـ/1210م –كما بيَّناه آنفًا– فتحقق بذلك لعلاء الدين مُحَمَّد السيطرة على كامل إقليم ما وراء النهر، زيادةً على ما تحت يديه من البلاد الممتدة عبر خراسان وفارس والعراق العجمي، فكان لهذا الحدث أثر في تحول السياسة الخوارزمية اتجاه الخلافة العباسية، فقد رأى خوارزمشاه أنَّ تحقيق حلمه وحلم أسلافه بالسيطرة على بغداد وإقامة الخطبة له فيها وبسائر أقاليم الخلافة قد آن أوانه، فأرسل إلى الخليفة الناصر يطلب منه أن يكون معه مثلما كان عليه الخلفاء السابقون له مع سلاطين السلاجقة، فيكون لهم المقام ببغداد وتذاع الخطبة للخوارزميين على المنابر ويحتفظ الخليفة بسلطته الروحية فقط[82].

لم يكن رد الخليفة على مطالب علاء الدين إيجابيا، بل أنكر عليه ذلك وقال له: أنَّ ما حدث سابقًا على عهد السلاجقة من تحكمهم في بغداد والسلطة أملته ضرورة الحفاظ على الخلافة (يقصد المد الشيعي البويهي والفاطمي)، وأمَّا وقد زال هذا العارض فمن غير الممكن القبول بمتحكِّم جديد، ثَمَّ استفهم في حديثه إلى القاضي مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي رسول علاء الدين مُحَمَّد عن طمع سيِّده في دار ملك أمير المؤمنين وقد أنعم الله عليه بحكم أقاليم شاسعة وغنية؟[83]، لتأخذ مواقف الزعيم الخوارزمي من جراء ردود فعل الخليفة السلبية على مطالبه تتجه صوب العداء بل والسعي للإطاحة بالخلافة وإزالتها.

أخذ علاء الدين خوارزمشاه يحضِّرُ جملةً من الذرائع ليبرر بها عداءه للخليفة العباسي الناصر لدين الله وسعى ليجعل لهدفه هذا مبررًا شرعيًا يتلاقى به ردود فعل المسلمين في مختلف الأمصار، فبدأ بالاعتراض على عزل ولي عهد الخليفة الناصر وهو ابنه الظاهر بأمر الله الذي كان قد عيَّنه والده وليًا للعهد سنة 575هـ/1189م، ثُمَّ تراجع وأسقط الخطبة له في سنة 601هـ/1204م بحجة عجزه، غير أنَّ خوارزمشاه رفض ذلك وقال: أنَّهُ لم يثبت عندي مبررات عزله، فجعل من هذا الحدث حجةً للمسير إلى العراق وتثبيت ولاية الظاهر[84].

كما وعمل خوارزمشاه على دعم العديد من حركات التمرد والعصيان التي ظهرت ضد الخلافة العباسية، وسعى لاستصدار فتوى من العلماء والفقهاء بضرورة عزل الخليفة لارتكابه المخالفات وتقاعسه على الجهاد وخدمة الإسلام، ثُمَّ أحضر شخصيةً علوية من ترمذ يدعى علاء الملك الترمذي وبايعه سنة 609هـ/ 1212م مدعيًا أنَّ حق الخلافة في بيت العلويين وأنَّ العباسيين قد اغتصبوها منهم وهم ليسوا أهلها، غير أنَّ كل هذه التحركات من طرف علاء الدين مُحَمَّد لم تكن كافية لإسقاط الخلافة العباسية وتأليب المسلمين علي حكامها[85].

لم يعد أمام علاء الدين خوارزم سوى المسير بجيوشه إلى بغداد لتحقيق ما عزم عليه من إزالة الخلافة العباسية، فقاد سنة 614هـ/1217م جيشًا عظيمًا استبقت وصوله رسائل من الخليفة تحثُّهُ على العدول عن أطماعه في بغداد، غير أنَّ تلك المساعي لم تجد طريقها إلى التحقيق، فاستعدَّ الخليفة لمصيره وفرَّق الأموال والسلاح، وقد شاءت الأقدار أن تتعرَّض الجيوش الخوارزمية الزاحفة لعواصف ثلجية بعد مسيرهم بيومين عن همذان فأهلكت الكثير من الجنود والدواب، وأمَّا من بقي منهم فقد تعرَّض لغارات الترك والأكراد في تلك المناطق الجبلية، ليعود علاء الدين خوارزمشاه خائبًا مع قلة قليلة من الجند نادمًا عمَّا كان منه اتجاه الخلافة العباسية[86].

وعلى هذا فإنَّ موقف السياسة الخوارزمية اتجاه الخلافة العباسية وما انجرَّ عنها من خسائر فادحة في الأرواح والعُدَّة خلال هذا الفترة كانت له نتائج وخيمة على الدولة الخوارزمية

والعالم الإسلامي ككل، ففي الوقت الذي كانت فيه أرواح المسلمين تزهق في حروب هامشية بسبب أطماع حكامها التوسعية، كان المغول بقيادة زعيمهم جنكيز خان يبنون صرح إمبراطورية مترامية الأطراف شديدة القوة ناحية الشرق من الثغور الإسلامية، فكانت أحداث ما اصطلح عليه بالغزو المغولي لديار الإسلام ابتداءً من سنة 615هـ/1218م قد وفَّر عديد أسبابها مواقف السياسة الخارجية للدولة الخوارزمية.

6. خاتمة:

إنَّ المتتبع لأحداث التاريخ السياسي والعسكري في الأقاليم الشرقية للعالم الإسلامي خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي سيدرك أنَّ الصراعات البينية والتحالفات العسكرية بين مختلف القوى الحاكمة وقتذاك هي السمة الغالبة على سنوات هذا القرن، وسيتضح له كذلك بأنَّ الدولة الخوارزمية كانت جزءًا فاعلاً في أحداث ذلك القرن إن لم نقل بأنَّها محور مختلف تلك العلاقات، حيث ساهمت طموحات مؤسسي هذه الدولة ببناء قوة سياسية كبيرة تمتد من العراق غربًا إلى بلاد ما وراء النهر شرقًا في وضع أسس لسياسة خارجية قائمة على التوسع والسيطرة باستخدام مختلف الأساليب والوسائل الممكنة (دبلوماسيًا وعسكريًا)، لترتسم وفق توجهات تلك السياسة معالم خريطة سياسية جديدة لشرق العالم الإسلامي كان فيه الخوارزميون أصحاب السلطة الوحيدون، وكانوا حينها مطالبين بالتعامل مع أحداث الهجمة المغولية وارتداداتها على مختلف الأقطار الإسلامية.

7. قائمة المصادر والمراجع:

1.7 المصادر:

- ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت630هـ)، **الكامل في التاريخ**، راجعه وصححه محمَّد يوسف الدقاق، منشورات محمَّد علي بيضون، ط4، بيروت، 2003م.

– ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمَّد (ت597هـ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح، محمَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

– ابن العبري أبي الفرج غريغوريوس بن أهارون الملطي (ت658هـ)، **تاريخ مختصر الدول**، وضع حواشيه، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ)، **تاريخ ابن خلدون**، ضبط المتن، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2000.

– أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي، (ت732هـ)، **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، دت.

– الأصفهاني، عماد الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد حامد، **تاريخ دولة آل سلجوق**، طبع على نفقة شركة طبع الكتب العربية، مصر، 1318هـ/1900م.

– الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م.

– الذهبي، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، **العبر في خبر من غبر**، تح، أبو هاجر مُحَمَّد السعيد بن بيسوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

– الرواندي، مُحَمَّد بن علي بن سليمان، **راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية**، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وآخرون، المجلس الأعلى للغة العربية، القاهرة، 1960م.

– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، **تاريخ الخلفاء**، مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط2، قطر، 2013.

– الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ)، **الوافي بالوفيات**، تح، أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000م.

– النسوي مُحَمَّد بن أحمد، **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**، تح، حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، د ت.

– الوطواط، رشيد الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الجليل، **مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط**، جمعها ورتَّبها وفسَّر بعض كلماتها، مُحَمَّد أفندي فهمي، ط1، مطبعة المعارف، مصر، 1315هـ.

2.7 المراجع:

– أرمينيوس فامبري، **تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتَّى العصر الحاضر**، تر وتع، أحمد محمود الساداتي، مراجعة يحيى الخشاب، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.

– حافظ أحمد حمدي، **الدولة الخوارزمية والمغول**، دار الفكر العربي، القاهرة. دت.

– حامد غنيم أبو سعيد، **العلاقات السياسية بين دولة الخطا والدول الإسلامية المعاصرة**، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، العدد 5، الرياض.

– سعاد هادي حسن الطائي، **معركة قطوان وانعكاساتها السياسية على دولة الخطا والسلاجقة في العصر العباسي سنة 536هـ/1141م**، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد الثاني والخمسون، بغداد، العراق، 2007.

– عبد الكريم عبده حتاملة، **دور الخليفة المسترشد بالله في مواجهة نفوذ السلاجقة (512هـ–529هـ/1118م– 1135م)**، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، ع18، 1419هـ/1998م.

– عبد النعيم مُحَمَّد حسنين، **سلاجقة إيران والعراق**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م.

– عفاف سيد صبرة، **التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية**، دار الكتاب الجامعي، ط1، 1407هـ/1987م، القاهرة.

– فؤاد عبد المعطي الصياد، **المغول في التاريخ**، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.

– محمود مُحَمَّد الحويري، **الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، دار المعارف، 1979.

– نافع توفيق العبود، ، **الدولة الخوارزمية، نشأتها وعلاقاتها مع الدول الإسلامية، نظمها العسكرية والإدارية**، رسالة ماجيستير آداب في التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1971م.

– Skrine F. H & Ross E. D: **The Heart of Asia**, (London 1899), p 140.

- D'ohsson, M, le Baron**: Histoire des Mongols depuis Tchinguiz-khan jusqu's Timour bey ou Tamerlan**, (paris 1824) Tom I, p103.

8. هوامش:

(1) غرجستان، أو غرشستان هي ناحيةٌ واسعة كثيرة القرى تقع بين الغور شرقًا وهراة غربًا ومرو الروذ شمالاً وغزنة جنوبًا، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م، 193/4.

[2] ويقوم صاحب هذه الوظيفة بغسل أدوات الوضوء وآلة الحمام والأباريق والطاسات والكراسي وغيرها من الأصناف التي تلائم بيت السلطان، راجع، أرمينيوس فامبري، **تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتَّى العصر الحاضر**، تر وتع، أحمد محمود الساداتي، مراجعة يحي الخشاب، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ص147.

[3] أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني عزالدين بن الأثير (ت630هـ)، **الكامل في التاريخ**، راجعه وصححه مُحَمَّد يوسف الدقاق، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، ط4، بيروت، 2003م، 10/9.

[4] ابن الأثير، الكامل، 10/9-11.

[5] لفظ أتابك، مكون من مقطعين "بك" ومعناه الأمير، و"أتا" ومعناه أب، أي والد الأمير، وهؤلاء الأتابكة لم يكونوا يختارون من أفراد البيت السلجوقي، بل من رعايا دولتهم المخلصين، ولعلَّ من أشهر الأتابكة، قسيم الدولة آقسنقر وعماد الدين زنكي وطغتكين وجناح الدولة حسين، راجع، حافظ أحمد حمدي، **الدولة الخوارزمية والمغول**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص119-120.

[6] محمود مُحَمَّد الحويري، **الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، دار المعارف، 1979، ص5.

[7] يصف البنداري سنجر فيقول عنه:" السلطان الأعظم عماد آل سلجوق، وسلطته ببلاد خراسان إلى العراق إلى ما وراء النهر إلى غزنة إلى خوارزم والترك، قد عمَّت ونمت ودولته قد علت وسمت وهو شيخ البيت وعظيمه وحافظ عزَّهُ ومُديمه"، عماد الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد حامد الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، طبع على نفقة شركة طبع الكتب العربية، مصر، 1318هـ/1900م، ص115، وأنظر أيضًا، مُحَمَّد بن علي بن سليمان الرواندي، **راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية**، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وآخرون، المجلس الأعلى للغة العربية، القاهرة، 1960م، ص260.

[8] لقد حدث بعد وفاة السلطان مُحَمَّد بن ملكشاه (511هـ/1117م) أن زادت حدة الصراع داخل البيت السلجوقي، حيث أسند السلطان مُحَمَّد أمور السلطنة لابنه محمود الذي كان يبلغ من العمر وقتذاك أربعة عشر سنة؛ غير أنَّ عمَّهُ سنجر حاكم خراسان وبلاد ما وراء النهر عظُمَ عليه أن يكون تابعًا لابن أخيه وزوج ابنته الذي لا يملك قراره أمام تحكم وزيره وحاجبه، فجرت بين الطرفين حروب كانت الهزيمة فيها من نصيب السلطان محمود الذي قطعت عنه الخطبة من طرف الخليفة المسترشد بالله العباسي وأذيعت للسلطان سنجر في السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة 513هـ/1119م، وقدَّم سنجر وعدًا لابن أخيه محمود ليجعله ولي عهده، أنظر، ابن الأثير، الكامل، 182/9- 184 ، الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص115-116.

[9] ابن الأثير، الكامل، 9/182-183.

[10] نفسه، 9/183.

[11] نهر جيحون، هو اسم وادي خراسان على وسط مدينةٍ يقال لها جيهان فنسبهُ الناس إليها وقالوا جيحون، وهو يجيء من موضعٍ يقال له ريوساران، وهو جبل يتصل بناحية السند والهند وابل، ياقوت، معجم البلدان، 2/196.

[12] عبد النعيم مُحَمَّد حسنين، **سلاجقة إيران والعراق**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م، ص119.

[13] الخِطا: وهو الاسم الذي يطلقهُ الروس على بلاد الصين، وهو في الأصل اسم لقبيلة مغولية حوَّل الإنجليز هذا الاسم فجعلوه Cathay كما وورد اسم قبائل الخِطا في المراجع الصينية منذ القرن الرابع الميلادي، وهم خليط من المغول والتانجوت، وقد كان سبب هجرتهم من موطنهم الأصلي في شمال الصين الاضطرابات السياسية بين مختلف القبائل والأسرات الحاكمة وخاصةً أسرتي " سونغ" و"كين"، ليستقر المقام بهذه القبائل في تركستان، أين استطاعوا تكوين كيان سياسي عاصمته " بلاساغون" وتنصيب زعيم عليهم يدعى" بي لوتاشي" ، أنظر، فؤاد عبد المعطي الصياد، **المغول في التاريخ**، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، 1/22-23.

[14] ابن الأثير، الكامل، 9/319، 322.

[15] يرى بعض المؤرخين أنَّ الاستقلال الفعلي والكامل الأركان لدولة الخوارزميين كان على عهد أيل أرسلان بن أتسز (551هـ- 568هـ/1156م- 1172م)، أي بعد وفاة سنجر بن ملكشاه أقوى سلاطين السلاجقة في الشرق سنة 552هـ/569م، حيث استولى الخوارزميون على أقاليمه وصاروا القوة الإسلامية الأكثر نفوذًا بالمنطقة، راجع، Skrine & Ross: The Heart of Asia, p 140.

[16] رشيد الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الجليل المعروف بالوطواط، **مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط**،جمعها ورتَّبها وفسَّر بعض كلماتها، مُحَمَّد أفندي فهمي، ط1، مطبعة المعارف، مصر، 1315هـ، 1/13.

[17] الوطواط، رسائل، 1/15.

[18] الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص257، المقريزي، السلوك، 1/145.

[19] الوطواط، رسائل، 2/18.

[20] الحسني، أخبار الدولة السلجوقية، ص 264، ابن الأثير، الكامل، 9/323.

(21) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص256-257.

(22) راجع بأكثر تفاصيل حول فترة الصراع بين أتسز وسنجر، نافع توفيق العبود، ، **الدولة الخوارزمية، نشأتها وعلاقاتها مع الدول الإسلامية، نظمها العسكرية والإدارية**، رسالة ماجيستير آداب في التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1971م، ص40-47.

(23) نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، ص48.

(24) ابن الأثير، الكامل، 406/9، 415.

(25) Skrine & Ross: The Heart of Asia, p 140.

(26) راجع حول ذلك الصراع بين ولدى السلطان أيل أرسلان (علاء الدين تكش وسلطان الشاه) في صفحات لاحقة من هذا البحث.

(27) حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص 29- 30.

(28) نفس المرجع، ص 61-62.

(29) D'ohsson : **Histoire des Mongols**, Tom I, p103.

(30) فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول، ص65.

(31) الكامل، 319/9، 322.

(32) نفس المصدر، 341/9.

(33) ابن الأثير، الكامل، 321/9-322.

(34) لتفاصيل أكثر حول معركة قطوان ونتائجها راجع، سعاد هادي حسن الطائي، **معركة قطوان وانعكاساتها السياسية على دولة الخطا والسلاجقة في العصر العباسي سنة 536هـ/1141م**، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد الثاني والخمسون، بغداد، العراق، 2007.

(35) ابن الأثير، الكامل، 322/9، وأنظر، عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ)، **تاريخ ابن خلدون**، ضبط المتن، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2000، 76/5.

(36) أرمينيوس فامبري، تاريخ بخارى، ص148.

(37) حامد غنيم أبو سعيد، **العلاقات السياسية بين دولة الخطا والدول الإسلامية المعاصرة**، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، العدد 5، الرياض، 1981م.

[38] جند، مدينة عظيمة في بلاد تركستان، بينها وبين خوارزم عشرة أيام، تلقاء واد الترك ممَّا وراء النهر قريبة من نهر سيحون، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 168/2.

[39] فامبري، المرجع السابق، ص148-149، حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص66.

[40] فامبري، المرجع السابق، ص149، حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص67.

[41] ابن الأثير، الكامل، 37/10-38، أبي الفرج غريغوريوس بن أهارون الملطي المعروف بابن العبري (ت658هـ)، **تاريخ مختصر الدول**، وضع حواشيه، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997م، ص187.

[42] ابن الأثير، الكامل، 39/10. وانظر أيضًا عماد الدين إسماعيل بن علي أبو الفدا، (ت732هـ)، **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، دت، 52/3-53.

[43] ابن الأثير، الكامل، 39/10.

[44] ابن خلدون، العبر، 97/5-98.

[45] ابن الأثير، الكامل، 39/10.

[46] ابن الأثير، الكامل، 40/10.

[47] راجع حول الأحداث التي شهدتها الفترة ما بين 568هـ/ 1172م إلى 589هـ/1193م بين الأخوين الخوارزميين علاء الدين تكش وسلطانشاه حول السلطة، عفاف سيد صبرة، **التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية**، دار الكتاب الجامعي، ط1، 1407هـ/1987م، القاهرة، ص63- 66.

[48] ابن خلدون، العبر، 113/5، وللاستزادة بتفاصيل أكثر حول علاقة الخلافة العباسية بالخوارزميين بعد سقوط دولة السلاجقة 590هـ/1193م ودور الغوريين فيها راجع، نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، ص122- 124.

[49] ابن الأثير، الكامل، 252/10.

[50] ابن خلدون، العبر، 113/5.

[51] ابن الأثير، الكامل، 252/10-253.

[52] أبو الفدا، المختصر، 93/3.

[53] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص47.

[54] ابن الأثير، الكامل، 333/10- 334.

(55) ويمكن مراجعة ملخص الحيلة التي دبَّرها هذا الأمير عند، الذهبي، العبر في خبر من غبر، 136/3.

(56) ابن الأثير، الكامل، 338/10، الذهبي، العبر، 140/3.

(57) حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص73.

(58) عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص117.

(59) الكامل، 339/10.

(60) نفس المصدر، 339/10-340 ، الذهبي، العبر، 139/3-140،(وقد جاء ذكر هذه الأحداث عند ابن الأثير في حوادث سنة 604هـ، وأمَّا عند الذهبي فجاء ذكرها في حوادث سنة 606)

(61) Skrine & Ross: The Heart of Asia, p 147

(62) ابن الأثير، الكامل، 39/10.

(63) عن مساعي بعض الخلفاء العباسيين في إنهاء نفوذ السلاجقة والتخلص من الاضطرابات والفوضى التي سببتها صراعاتهم الداخلية، راجع، عبد الكريم عبده حتاملة، **دور الخليفة المسترشد بالله في مواجهة نفوذ السلاجقة (512هـ- 529هـ/1118م- 1135م)**، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، ع18، 1419هـ/1998م، ص278- 280.

(64) لقد جاء في رسائل الوطواط كاتب الإنشاء في الدولة الخوارزمية ما يؤكِّد على حرص الخوارزميين على نيل الخلع والتشريفات من الخلافة العباسية فيقول في إحدى الرسائل:" إنَّ الخلع الحاصلة للعبد والتشريفات الواصلة إليه من المواقف المقدَّسة قدَّسها الله فقد هزَّت عطفه، وشدَّت أزره واطلعت نجوم فخره". أنظر، الوطواط، رسائل، ص15.

(65) أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَّد ابن الجوزي (ت597هـ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح، مُحَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، 284/17.

(66) للاستزادة بأكثر تفاصيل حول الصراع العسكري بين الخليفة العباسي المسترشد بالله والسلطان السلجوقي مسعود بن مُحَّد راجع، عبد الكريم عبده حتاملة، المرجع السابق.

(67) رشيد الدين الوطواط، رسائل، 1/ 4، 7، 14، 16، 18.

(68) نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، ص72- 73، حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص39.

(69) ابن الأثير، الكامل، 163/10-164.

[70] ابن الأثير، 232/10، أبو الفدا، المختصر، 89/3، ابن خلدون، العبر، 99/5-100.

[71] ابن الأثير، الكامل، 233/10، أبو الفدا، المختصر، 89/3-90.

[72] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، **تاريخ الخلفاء**، مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط2، قطر، 2013، ص694.

[73] تاريخ الخلفاء، ص 687- 688.

[74] ابن الأثير، الكامل، 233/10، 235، 238-239، أبو الفدا، المختصر، 91/3.

[75] نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، ص78.

[76] الرواندي، راحة الصدور، ص534.

[77] نفسه، ص552-553.

[78] نفسه، ص534.

[79] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص694.

[80] ابن الأثير، الكامل، 263/10.

[81] حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص40، 42-43، نافع توفيق عبود، المرجع السابق، ص85-88.

[82] مُحَّد بن أحمد النسوي، **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**، تح، حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، د ت، ص 49.

[83] النسوي، ص50، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ)، **الوافي بالوفيات**، تح، أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000م، 200/2.

[84] ابن الأثير الكامل، 298/10، الصفدي، الوافي بالوفيات، 201/2.

[85] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص38 ، نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، ص90-91.

[86] النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص 64، ابن الأثير، الكامل، 372/10.